عمارة المسجد الحرام

إعداد

د. سميرة أحمد سنبل

أستاذ مساعد التاريخ الحديث بكلية المعلمات/ بجدة

و رئيسة قسم اللغة العربية و العلوم الاجتماعية

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

كان المسجد الحرام منذ عهد إبراهيم و ابنه إسماعيل عليهما السلام عبارة عن فسحة حول الكعبة ، فلا دور ولا جدار حولها – حيث كانت قبائل مكة تسكن في الشعاب احتراما للكعبة وتعظيما لشأنها ، فلما آل الأمر إلى قصي و استولى على مكة ومفتاح الكعبة من خزاعة بعد حروب طويلة ، أمر قومه من بطون قريش أن يبنوا مساكنهم في مكة و حول الكعبة حتى تهابهم الناس ولا تستحل قتالهم ، فبدأ هو أولا ببناء دار الندوة.

وهكذا بنت قريش دورها حول الكعبة ، وتركت مقدارا للطائفين ، وشرعت أبوابها نحو الكعبة[١].

وتركوا بين كل دارين طريقا أو شارعا و فيه باب يؤدي إلى المطاف ، كما جعلوا ارتفاع الدور أقل من ارتفاع الكعبة .

وسَمّي مَن بنى بيوتا حول الكعبة من قبائل قريش (قريش البواطن) . ومع كثرة النسل والسكان اتصلت الدور بشعاب مكة في العصر النبوي [٢]. وحدود المطاف في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وعصر أبي بكر من الجهة الشرقية بئر زمزم وباب بني شيبة، و من الجهة الغربية حافة المدار الذي عليه الأساطين النحاسية التي تعلق عليها القناديل أو المصابيح الكهربائية الواقعة بين مدار المطاف ومقام المالكي ، ومن الجهة الشمالية حافة المدار الذي عليه

١ – حسين عبد الله باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم وغير ذلك، (الطبعة الثالثة، جدة تهامة ، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م) ص ٥- ٦ .

٢ – نفس المرجع : ص ٦- ٧ .

الأساطين المعلقة بها مصابيح الكهرباء الواقعة بين مدار المطاف و مقام الحفني ، ويحدها من الجنوب الأساطين المذكورة الواقعة بين مدار المطاف ومقام الحنبلي [١] .

ويتكوَّن الحرم من : الكعبة – المطاف – وبئر زمزم– مقام إبراهيم – والمنبر – المقامات الأربع – والسدة أو المكبرية – و المظلات و الحصاوى – والأساطين – والمزولة أو الساعة .

ويعتبر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من أقام حائطا حول الكعبة ، بعد أن كانت البيوت تحيط بها من جميع جوانبها ، يفصل بين البيوت ممرات لتوصل الساحة المتروكة حول الكعبة بالمطاف .

مر المسجد الحرام بعدة توسعات قبيل التوسعة السعودية ،و كان أخرها ، توسعة السلطان سليم العثماني عام ٩٨٠ هـ . ورغم الإصلاحات التي تمت بعد ذلك على فترات متفاوتة ، إلا أن المبنى بشكل عام بقي على حاله إلى أن دخل الملك عبد العزيز مكة المكرمة [٢] ، حيث كانت أطوال الأضلاع الخارجية للمسجد الحرام

١ - نفس المرجع : ص ٩- ١٠

٢ - انظر بالتفصيل عبد الكريم القطبي : إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام ، تعليق أحمد محمد جمال و آخرون ، (الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م الرياض دار الرفاعي للنشر و الطباعة و التوزيع) ص ٦٧- ١٤٥ ، و انظر أيضا الشيخ قطب الدين النهروالي : أخبار مكة المشرفة ، كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام (ج ٣ ،) ص ٥ – ٨٥ ، و أنظر أيضا المهندس يحي حمزة كوشك : زمزم طعام طعم وشفاء سقم (الطبعة الثانية، جمهورية مصر العربية ، المتحدون للإعلان ، مدينة السادس من أكتوبر ،١٤٢٥ هـ) . ص ٤٥

لا تزيد عن ١٩٢ × ١٩٤ متر مربع[١] . وكان المسجد لا يتسع لأكثر من ٥٠ ألف مصلٍ عندما بدأت التوسعة السعودية الأولى ، و كانت بيوت الأهالي ملاصقة لجدار الحرم ، كما كانت المسعى مسقوفة بسقف مقوس من ألواح الحديد المجلفن المموج .

وفي عام ١٣٤٥ هـ أمر الملك عبد العزيز بإزالة النواتيئ الخارجة في شارع المسعى ، كما أمر برصفها ، فأصبح الشارع مستقيماً ، وهو أول شارع رصف في مكة المكرمة ، بل في المملكة العربية السعودية قبل توحيدها ، وأول مرة رصف شارع المسعى من الصفا إلى المروة منذ فرض الله تعالى على المسلمين الحج بل منذ سكن الحجاز . والملك عبد العزيز أول ملك أعتنى برصفه[٢] .

***

١ - اتحاد المهندسين الاستشاريين <باكستان> : مشروع جلالة الملك خالد بن عبد العزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام ، (إصدار وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، المملكة العربية السعودية ، صدر في عهد صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز ، بدون تاريخ) ، ص ١٠٦

٢ - حسين با سلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٩٦ .و أنظر أيضا عبيد الله محمد أمين كردي : الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان ، عمارةَ و تاريخاً (مجموعة بن لادن ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٩ هـ) ص ١٩١ .

المكونـات الأساسية للحرم

أولا : الكعبة المشرفة :

هـي أول بيـت مبـارك وضـع للنـاس ، ويقـع هـذا البيـت أو البنـاء في قلـب الحـرم المكـي . وسمـي البيـت العتيـق بالكعبـة لتكعيبهـا أو تربيعهـا [١] . وقـد بنيـت الكعبـة اثـنتي عـشرة مـرة حـسب مـا ذكـره المؤرخون ، وهي :

بنـاء الملائكـة – وبنـاء آدم عليـه الـسلام – بنـاء شـيت – بنـاء إبـراهيم عليـه الـسلام – بنـاء العمالقـة – بنـاء جـرهم – بنـاء قـصي – بنـاء عبـد المطلـب – بنـاء قـريش – بنـاء جـرهم . بنـاء الـزبير – بنـاء الحجـاج – بناء السلطان مراد خان العثماني [٢]

---

١ – أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تحقيق رشيد صالح ملحس، الجزء الأول ، (أسبانيا ، دار الأندلس ، مطابع متيو كرومر ، ش،م،بنتو – مدريد ، ١٣٨٥ هـ) ص ٣٥٥ إلى ٣٧٣ . وأنظر أيضا حسين عبد الله باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة : ص ٣٩ وتقي الدين الفاسي : شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ، الجزء الأول (لرياض ،مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١ ، ١٤١٧ هـ)، ص٢٤٩ . و انظر أيضًا عبيد الله محمد أمين كردي : الكعبة المعظمة و الحرمان الشريفان ، عمارةً و تاريخًا (مجموعة بن لادن ، الرياض ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٩ هـ) ص ٥٠ – ٥١ .

٢ - أنظر الأزرقي : أخبار مكة ، ج ١ ، ص ٣٥٥- ٣٧٣ . و انظر أيضًا – جمال الدين محمد جار الله بن ظهير القرشي : الجامع اللطيف في فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف (الطبعة الثالثة ، مكة المكرمة ، مكتبة الثقافة ، ١٣٩٢ هـ /١٩٧٢ م) ص ٦٨ - ٧١ ، و أنظر أيضا حسن باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة ، ص ٣٩ . وأنظر أيضا أمينة الصاوي : الكعبة المشرفة، (جدة ، دار عكاظ للطباعة والنشر، بدون تاريخ) ، ص ٥٥ ، ٢٢٢ . و أنظر أيضاً عبيد الله كردي : الكعبة المعظمة ، ص ٥٨ – ٥٩ .

ومنذ أن بني إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت الحرام ، أصبح الإجماع منعقدا على قدسية الكعبة من قبل المؤمنين والمشركين والوثنيين ، مع اختلافهم في الشعائر ، وظل البيت مثابة الناس إلى أن طهر آخر الأنبياء والمرسلين محمد – صلى الله عليه وسلم – الكعبة من الأوثان .

والكعبة بناء مجوف من الداخل ، يبلغ ارتفاعه حسب بناء إبراهيم تسعة اذرع، ولما بناها إبراهيم عليه السلام جعل لها بابين ملاصقين للأرض ، أحدهما من الشرق والآخر من الغرب ولم يجعل للكعبة سقفا كما لم يصنع للمدخلين أبوابا . وحفر في داخلها بئرا لتكون خزانة لهداياها [1] ،وعمق البئر هذا ثلاثة أذرع .

وكانت حجارة بناء إبراهيم من خمسة جبال هي : طور سيناء وطور زيتاء ولبنان والجودي وحراء [2] ، وكانت الملائكة تأتيه بالحجارة من تلك الجبال . وجعل إبراهيم للكعبة ركنين فقط هما : الركن الأسود (الحجر الأسود) والركن اليماني .أما بقية الأركان فقد جعلها مدورة نصف هلالية ؛ وجعل ارتفاع الكعبة تسعة أذرع . ولم يساو بين أضلع الكعبة ؛ فعرض الذي فيه الميزاب اثنان وعشرون ذراعا وعرض الجدار المقابل له عشرون ذراعا ، أما وجه الكعبة

١ - جمال الدين القرشي : الجامع اللطيف ، ص ٨٠ ، و انظر أيضًا أمينة الصاوي : الكعبة المشرفة : ص ٥٨ .

٢ - انظر بالتفصيل جمال القرشي : الجامع اللطيف ، ص ٧٤ .

فعرض جداره اثنان وثلاثون ذراعا ، وعرض الجدار المقابل له واحد وثلاثون ذراعا [١] .

ورغم اختلاف المؤرخين حول بناء الكعبة إلا انهم اتفقوا على ثلاثةٍ منهم وهم: بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ، لثبوت ذلك في القرآن ، وبناء قريش لثبوت ذلك في الحديث، وبناء ابن الزبير والحجاج الذي اعتبره البعض واحدا لثبوت ذلك في التاريخ الإسلامي [٢] .

ويعتبر هؤلاء المذكورين هم الذين كان لهم شرف بناء وتعمير وترميم الكعبة المشرفة ، وآخرهم السلطان . مراد الرابع الذي أعاد بناء الكعبة إلى ما هي عليه الآن بعد أن هدمها السيل عام ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠م [٣] .

على أن الحجاج عندما أعاد بناء الكعبة جعل أرضها وجدرانها

---

١ - جمال الدين القرشي : الجامع اللطيف ، ص ٧٩ – ٨٠ الذراع يساوي ما بين ٤٦- ٥٠ سم ، أنظرأمينة الصاوي : الكعبة المشرفة ، ص ٥٨ .

٢ - الأزرقي : تاريخ مكة ، جـ ١ ، ص ٢١٦ .

٣ - محمد طاهر الكردي المكي : التاريخ القديم لمكة و بيت الله الكريم ، (الجزء الرابع ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، مكتبة النهضة الحديثة ، ١٣٨٥ هـ) . و انظر أيضاً أمينة الصاوي : الكعبة المشرفة ، ص ٥٥ – ٢٢.و أنظر أيضًا علي بن عبد القادر الطبري : الأرج المسكي في التاريخ المكي (الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، المكتبة التجارية ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م) ، ص١٥٢ .و انظر أيضا أحمد السباعي : تاريخ مكة ، دراسات في السياسة و العلم و الاجتماع و العمران ، (الجزء الأول، الطبعة الأولى ،دار مكة للطباعة و النشر و التوزيع)تاريخ مكة ، دراسات في السياسة والعلم و الاجتماع و العمران ، (الجزء الأول، الطبعة الأولى ،دار مكة للطباعة و النشر و التوزيع)، ص٤٧٩ – ٤٨٣

من رخام ملون ، وجعل فيها أربع دعائم ، والدرجة الصاعدة إلى السطح في بطن الجدار الشامي ، وعليه باب صغير[١] .

وتتكون الكعبة من :

١ – الحجر الأسود :

وهو حجر من حجارة الجنة ، كان أشد بياضا من الفضة ، ولكن سودته خطايا البشر[٢] ، ومن مقابله يبدأ الطواف ويقع في ركن الكعبة الشرقي ، ويرتفع عن أرض المطاف حوالي متر ونصف، وما نراه الآن ونقبله ليس بالحجر الأساس ، وإنما هو أجزاء منه لا تزيد عن ثمان قطع أكبرها قدر التمرة الواحدة و الباقي من الحجر موجود داخل الكعبة ؛ وقد مر الحجر الأسود بحوادث كثيرة يمكن

١ - اتحاد المهندسين .ص ٣١- ٣٢ عن البلاذري ص ٤٧ .

٢ - الإمام أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المالكي ، من علماء القرن الثالث الهجري: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، دراسة ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، الجزء الأول، (الطبعة الثانية ، بيروت ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١هـ ١٩٩٤ م) ص ٨١ – ٩٦ ولمزيد من التفاصيل حول لون الحجر الأسود والحريق الذي تعرضت له الكعبة ، أنظر الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ١ ، ص ٦٣- ٦٦ ، لمزيد من التفاصيل حول ما تعرض له الحجر الأسود من محاولات سرقة أجزاء منه و ما فعله القرامطة ، وما فعله أحد الأفغان الذي قام بسرقة قطعة من الحجر في أواخر محرم عام ١٣٥١ هـ وأعاده الملك عبد العزيز رحمه الله بيده إلى مكانه في ٢٨ ربيع الآخر من نفس العام وتم إعدام السارق ، انظر تفاصيل كل ذلك في المرجع السابق، هامش ص ٣٤٥ – ٣٤٦ . وحول ما أصاب الحجر الأسود في زمن ابن الزبير والقرامطة انظر بالتفصيل تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام جـ ١ ، ص ٣٦٢ – ٣٦٣ . و انظر أيضًا جمال الدين القرشي : الجامع اللطيف ، ص ٣٨ .

الرجوع إليها في كتب التاريخ وأشهرها حادثة القرامطة .

٢ – الركن اليماني :

ويسبق الحجر الأسود في الطواف ، ويشكلان القواعد الأولى التي أرساها إبراهيم الخليل عليه السلام .

٣ – حجر إسماعيل :

وهو الحائط الواقع شمال الكعبة المعظمة ، ويأخذ شكل نصف دائرة وقد جعله سيدنا إبراهيم عليه السلام عريشا إلى جانب الكعبة [١] .

٤ – الملتزم :

ما بين الحجر الأسود و باب الكعبة [٢] .

٥ – ميزاب الكعبة :

وأول من أنشأ الميزاب هم أهل قريش عام ٣٥ بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل مصبه على حجر إسماعيل عليه السلام ، وعندما أعاد الزبير بناء الكعبة أعادها إلى بناء قريش ، أما الذي جعل الذهب على الميزاب فهو الوليد بن عبد الملك ، وقد تم تغيير الميزاب عدة مرات آخرها ميزاب السلطان عبد المجيد خان

١- أنظر بالتفصيل عبيد الله أمين كردي : الكعبة المعظمة ، ص ١١٦ ، و لمزيد من التفاصيل حول حجر إسماعيل ومساحته وتطور بنائه وترميمه انظر الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ١ ص ٣٢٠ – ٣٢٢ .

٢ - كذا قال التاجيُّ و المهلَّبَ و هي رواية ابن وضاح ، انظر تاج العروس للزبيدي مادة " لزم " .

العثماني [١]، والذي أمر بصنع الميزاب في اسطنبول عام ١٢٧٦ هـ وهو مصفح بالذهب ويزن خمسين رطلا ولا يزال موجودا إلى الآن [٢] .

٦ – باب الكعبة :

اختلف الرواة حول من صنع أول باب للكعبة ، وهل كان له مصراعان أم مصراع واحد ؟ على أن قريشاً قد جعلت له مصراعين وكذلك الزبير[٣] ، أما في العهد السعودي فقد تم تركيب بابين ، الأول في عهد الملك عبد العزيز عام ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٣م [٤] ، و هو موجود حاليًا بمتحف الحرمين الشريفين بأم الجود بمكة المكرمة [٥] والثاني في عهد الملك خالد رحمهما الله عام ١٣٩٧ هـ /٧ ١٩٧ م .

وقد بلغ ارتفاع الباب الأول ١٠ ، ٣ متر (ثلاثة أمتار وعشرة سنتمتر) ومدعم بقضبان من الحديد ؛ وتمت تغطية الوجه الخارجي للباب بألواح من الفضة المطلية بالذهب ، وزين الباب بأسماء الله

١ - عبيد الله أمين كردي : الكعبة المعظمة ، ص ١١٨ .

٢ - الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ١ ، ص ٢١٢ ، وانظر أيضا محمد علي عباس المالكي : في رحاب البيت الحرام (الطبعة الثالثة ، جدة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤٠٥ هـ –١٩٨٥ م) ، ص ٨٠ . وانظر أيضا أحمد السباعيي : تاريخ مكة ، ص ٥٩٢

٣- عبيد الله أمين كردي : الكعبة المعظمة ، ص ٦٩ - ، و انظر أيضًا جمال الدين القرشي ، الجامع اللطيف ، ص ٩٠ .

٤ - أم القرى : العدد : (١١٨٢) ١٦ من ذي الحجة ١٣٦٦ هـ/ ٣١ أكتوبر ١٩٤٧ م ، والعدد (١١٨٣) بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ / ٧ نوفمبر ١٩٤٧ م . و عبيد الله أمين كردي : الكعبة المعظمة ص ١١٠- ١١٢ .

٥ - ناصر بن علي الحارثي : بابا الكعبة المشرفة في عهد الملك عبد العزيز ، بحث نشر في دارة الملك عبد العزيز ، العدد (الرابع) السنة (٢٨) ، (١٤٢٣) ص ٥٧ .

الحسنى ، وقد صنعه شيخ الصاغة الشيخ أحمد إبراهيم بدر ، بمكة المكرمة [١] .

أما الباب الثاني : فمن الذهب الخالص ، وكذلك باب التوبة الذي يصعد منه إلى السطح ، ويقع في الناحية الشمالية داخل الكعبة، ويبلغ عرضه ٧٠ سم ، وارتفاعه ٢٣٠ سم ، وله نفس مواصفات باب الكعبة ، إلا أن سماكة خشبه أقل من سماكة باب الكعبة .

وعرض باب الكعبة الخارجي مترين تقريبا ، وعمقه نصف المتر ، ويتكون من درفتين من الخشب الملبس بالذهب ، وتزن كل درفة أكثر من ٥٠٠ كج ، وبلغت تكلفة البابين (١٣,٤٢٠,٠٠٠) ريالا ، عدا كمية الذهب التي تم توفيرها بواسطة مؤسسة النقد العربي السعودي ، وكميتها مائتان وثمانون كيلوجراما ، وكان الذهب عيار ٩٩٩,٩ ٪ .واستغرق العمل فيه عاما كاملا في ورشة أقيمت خصيصا له [٢] .

وكتب على باب (الكعبة وباب التوبة) نفس الآيات :

- سم الله الرحمن الرحيم

---

١ - حامد عباس : قصة التوسعة الكبرى ، (الطبعة الأولى ، الناشر مجموعة بن لادن السعودية ، م ، يحي محمد بن لادن ، جدة ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م) ص ٨٨ ، و أانظر أيضًا عبيد الله أمين كردي : الكعبة المعظمة ، ص ١١٠ - ١١٢

٢ - جريدة عكاظ : العدد (٦٥٠٧) بتاريخ ١٤٠٤/٦/٢٩ هـ ١٩٨٤/٣/٣١م

- أدخلوها بسلام آمنين [١] .
- جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام [٢]
- رب ادخلني مدخل صدق و أخرجني مخرج صدق و أجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا [٣] .
- كتب ربكم على نفسه الرحمة [٤] .
- وقال ربكم أدعوني أستجب لكم [٥] .
- لا إله إلا الله محمد رسول الله .(كتبتا على حشوتين على شكل شمستين مشرقتين) .
- قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم [٦] .
- ثم سورة الفاتحة. على شكل قرصين بارزين [٧]

وتحت هاتين الحشوتين بخط صغير " صنع الباب السابق في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سنة ١٣٦٣ هـ "

---

١ - سورة ( ) آية

٢ - سورة المائدة ، الآية (٩٧)

٣ - سورة

٤ - سورة الأنعام ، الآية (٥٤) .

٥ - سورة غافر الآية (٦٠) .

٦ - سورة الزمر ، الأية (٥٣)

٧ - عبيد الله أمين كردي : الكعبة المعظمة ، ١١٢ .

وتحتها صنع هذا الباب في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود عام ١٣٩٩ هـ [١].

وضمن الزخرفة الخفيفة كتب في الدرفة اليمنى عبارة " تشرف بافتتاحه بعون الله تعالى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ، في الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٩٩ هـ ، وفي الدرفة اليسرى " صنعه أحمد إبراهيم بدر بمكة المكرمة ، صممه منير الجندي ، واضع الخط عبد الرحيم أمين " [٢] .

أما الجوانب فزخرفت بأسماء الله الحسنى ، فمن الأعلى : يا واسع يا مانع يا نافع ، ومن الجانب الأيمن : يا عالم يا حليم يا عظيم يا حكيم يا رحيم ، ومن الجانب الأيسر يا غني يا مغني يا حميد يا مجيد يا سبحان يا مستعان [٣] .

ثانيا : بئر زمزم

من أسماء زمزم أيضا شباعة ومروية ونافعة وعافية وميمونة وبركة ومضمونة وكافية ومعذبة وشفاء سقم ، وطعام طعم ، وهزمة جبريل ، وسقيا إسماعيل [٤] .

---

١ - نفس المرجع .

٢ - نفس المرجع .

٣ - نفس المرجع .

٤ - الفاكهي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٠ – ١١ ، و ص ٦٧ – ٦٨ ، وانظر أيضا محمد المالكي : في رحاب البيت الحرام ، ص ٢٢٣ – ٢٢٤ .. ويقول الفاسي إنَّ أمراء مكة وولاتها كانوا يشترون جانبا من كسوة الكعبة من السدنة بعد ما سمح لهم الشريف عنان بن مغامس بن رمثية الذي تولى ولاية =

وبئر زمزم تستقبل مياهها من صخور قاعية تكونت من العصور القديمة ، وذلك عبر ثلاث تصدعات صخرية تمتد من الكعبة المشرفة والصفا والمروة وتلتقي في بئر زمزم ؛ ويبلغ عرض البئر أربعة أمتار ، وجداره من الداخل محكم التليس بعمق أربعة عشر مترا وثمانين سنتمترا من فوهة البئر ، وتحت هذا العمق توجد فتحتان لتغذية البئر إحداهما تتجه إلى الكعبة المشرفة ، والثانية إلى اجياد ، ثم جزء منقور من الجبل بعمق سبعة عشر مترا وعشرين سنتمترا ، ويصل ضغط الماء المتوقع من البئر حوالي (١٠) أمتار ، وفقا لقياس أعلى فتحة الصدع داخل البئر[١] .

وتقع بئر زمزم شرق الكعبة موازية للملتزم وشرق الحجر الأسود ، وفي جنوب موضع إبراهيم عليه السلام ، ويفصلها عن الكعبة خمسة عشرا مترا [٢].

وقد طمر الجرهميون بئر زمزم بعد أن انتصر عليهم الخزاعيون ، وبقيت مطمورة حتى حفرها عبد المطلب جد النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وصارت السقي له و لأحفاده [٣] ، وأول من

=

مكة عام ٧٨٨ هـ . كما كان يهدي الملوك وعلية القوم من هذه الكسوة ، انظر بالتفصيل تقي الدين الفاسي : ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .

١- المهندس يحي حمزة كوشك : زمزم طعام طعم وشفاء سقم (الطبعة الأولى ، جدة ، دار العلم للطباعة والنشر ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٣ م) ص ٧٢ وما بعدها .

٢- حامد عباس : ص ١٤٠ .

٣ - انظر تفاصيل حفر البئر ومنام عبد المطلب جد النبي - صلى الله عليه وسلم - وتحديد موضع البئر فأخذ بنو عبد مناف السقاية والرفادة : الفاكهي ، ص ١٢ – ٣٢ . والأزرقي : ص ٥٤ – ٥٦ .و

=

وضع للبئر شباكا من حديد هو أبو جعفر المنصور ، وفرشها بالرخام، كما أقام العباسيون على البئر قبة ؛ ويتكوَّن البئر من دورين ، الدور الأرضي وبداخله سقاية تملأ بالماء والدور الثاني مكبرية ، ويوجد على القبة صومعة المؤذن الزمزمي[1] . وكتب عليها عبارة " تولى تجديد عمارة المسجد حكام المسلمين" .

وعندما دخل الملك عبد العزيز إلى مكة المكرمة أبقى الوضع على ما كان عليه حتى عام ١٣٧٣ هـ ، فكانت فوهة البئر مستديرة عليها قطعة من المرمر على قدر سعة البئر ، والأرض المحيطة بالبئر فرشت بالرخام ، ويحيط بالبئر من أعلى دربزين لمنع السقوط ، وفوقه شبكة من حديد ، والبناء القائم على البئر مربع من الداخل ، وطول كل ضلع (٥،٥) متر وله باب في زمزم من الجهة الشرقية ، وعلى نصف سطح البئر قطعة مقابلة للكعبة من الجانب الغربي من البئر ، ويغطي البناء مظلة ، وفوق المظلة سقف من الخشب القوي ، وفوق السقف جملون مصفح ، وهذه المظلة خاصة برئيس المؤقتين الذي يبلغ

=

انظر أيضاً كوشك : زمزم طعام كعم و شفاء سقم ، (الطبعة الثانية ، مدينة السادس من أكتوبر، المتحدة للإعلان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ص ١٥ - ٢١ ، و عبيد الله أمين كردي : الكعبة المعظمة ص ١٨٠ – ١٨١ ، و أنظر أيضا جمال الدين القرشي : الجامع اللطيق ، ص ٢٥٧ - ٢٥٩.

١ - سيد عبد المجيد بكر : أشهر المساجد في الإسلام ، (الطبعة الأولى ، جدة مطابع سحر ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م) ص ٦ ، و لمزيد من التفاصيل عن صفة الموضع الذي به بئر زمزم انظر تقي الدين الفاسي : ٤٥٠- ٤٥٣ .أنظر أيضًا محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ، (الطبعة الأولى ، مصر مطبعة الجمالية ، ١٣٢٩ هـ) ، ص ١٢٦ . وكوشك : ط٢ ، ص ٢٣ ، و أيضًا عبيد الله أمين كردي : الكعبة المعظمة ، ص ١٨١ ،

المؤذنين بمواعيد الأذان في الأوقات الخمس [١] .

و ظل استخدام الدلاء في استخراج ماء زمزم حتى عام ١٣٧٣ هـ ، وعندما تم تركيب مضخة لسحب الماء إلى السطح عبر أنابيب تصب في خزان على السطح ، ومنه إلى صنابير موزعة من حول البئر ، وفي التوسعة السعودية الثانية تمت إزالة المباني المحيطة بالبئر ، وجهز بطريقة مناسبة بحيث خفض تحت مستوى أرضية الحرم ، وخفضت فوهة البئر (٢,٧) متر أسفل المطاف . وأصبح النزول إليه عن طريق درج، وجعل قسم خاص بالرجال وآخر بالنساء ، وزود المكان بشبكة وصنابير زمزم المثلج ، وشبكة أخرى لتصريف الزائد من الماء [٢] .

ويقدر إنتاج بئر زمزم – حسبما تبين اختبارات الضخ – بين (١١ – ١٨,٥) لتر في الثانية [٣] .

ثالثاً : مقام إبراهيم

هو الحجر الذي وقف عليه إبراهيم عليه السلام عند بنائه للكعبة ، وكان هذا الحجر أو المقام يرتفع به كلما ارتفع البناء ؛ وكان إسماعيل يناوله الحجارة فيضعها إبراهيم الخليل عليه السلام بيده . حتى صار هذا الحجر الذي تحت قدمي إبراهيم

١- انظر بالتفصيل محمد طاهر كردي : التاريخ القديم لمكة بيت الله الكريم ، ص ٨٤ - ٨٥ ، و سيد بكر : أشهر المساجد ، ص ٦٨ – ٧٠ .و انظر أيضا أحمد السباعي تاريخ مكة ، ص ٤٧٧ .

٢ - انظر الصور المنشورة في حامد عباس عن بئر زمزم قديما وحديثا من ص ١٤٣ حتى ص ١٤٥

٣ - يحي كوشك ،ط ٢ : ص ١٠١ – ١٠٨

رطبا فغاصت فيه قدماه حسب بغض الروايات ، وآثارها ما زالت واضحة حتى وقتنا الحاضر ، رغم تغيرت هيئة الحجر الأصلية بكثرة مسح الناس بأيديهم عليه [١] ، قبل وضعه في المقصورة [٢] .

وجاء في الحديث الشريف " أنَّ الركن والمقام باقوتتان من ياقوت الجنة " الحديث[٣] .

وحجر المقام رخو ، وهو من نوع حجر الماء ، ومساحته ٥٠ × ٥٠ سم٢ ، ومثلهما في الارتفاع ، وفي الوسط أثر قدمي إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهما حفرتان بيضاويتان ، وقد وسعهما الناس بمسح الأيدي ووضع ماء زمزم فيهما مما جعلهما كأنهما حفرتان ، وهما الآن مصفحتان بالفضة فوق قاعدة من الرخام ، بقدر قياس نفس المقام الشريف ، وارتفاعها ثلاثة عشر سنتمترا ، وهذه القاعدة بدورها مثبتة بإحكام جيد في وسط قاعدة كبيرة من الرخام المرمر الذي يشبه البركة ، ويبلغ طول أضلع القاعدة الأخير هذه مترا واحدا من كل جهة ، وارتفاعها عن الأرض ستة وثلاثون سنتمترا ، ولون الرخامتين أبيض ، ويحيط بهذه القاعدة صندوق من الخشب ارتفاعه نحو القامة [٤] .

---

١ - الفاكهي : ص ٤٨١ .

٢- محمد المالكي : ص ٢٢٣ – ٢٢٤ .

٣ - أخرجه الترمذي ، رقم ٨٠٤ – باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن و المقام .

٤- محمد طاهر الكردي : التاريخ القويم لبيت الله الكريم ، جـ ٤ ، ص ١٦ ، ١٧ ، و أنظر أيضًا محمد المالكي : في رحاب البيت الحرام ، ص ٢٢٣ – ٢٢٤

وتبلغ المسافة بين الكعبة والمقام حوالي ١٤,٥ متر ، ومن الركن الشامي إلى الكعبة حوالي (١٤) مترا ، ومن المقام إلى طرف بئر زمزم حوالي (١٢,٥) متر .

وقد بقي المقام في موضعه لم يتغير ولم ينقل ، حتى كان عام ١٧هـ عندما اجتاح مكة سيل شديد يسمى سيل أم نهشل ، جرف معه المقام . فحضر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وتقصى موضعه وأعاده .

وأول من زين المقام وحلاه هو الخليفة محمد المهدي العباسي وضببه بالذهب – وضببه بعد ذلك الخلفاء العباسيون[١] .

أما سلاطين الدولة العباسية ، فقد كسوه مع كسوة الكعبة بكسوة سوداء مطرزة الآيات بأسلاك الفضة الموهة بالذهب على شكل ستارة باب الكعبة والحزام[٢] .

ولم أجد تاريخا محددا لوضع المقام في المقصورة النحاسية المربعة ، التي بقيت حتى أول عام ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م ، وعليها قبة قائمة على أربعة أعمدة ، تحتل مساحة قدرها ٣×٦م٢ ، مما كان سببا في إعاقة الحجاج أثناء الطواف .

جاء قرار رابطة العالم الإسلامي في جلسته التأسيسية المنعقدة في ١٣٨٤/١٢/٢٥ هـ بإزالة جميع الزوائد الموجودة في الحرم ، وهي :

١ - كان ذلك سنة ١٦١ هـ . انظر الفاكهي : ص ٤٧٦ . وعن كيفية تضبيب المقام ، وكمية الذهب والفضة المستخدمة في التضبيب، انظر المرجع نفسه ، ص ٤٧٧ – ٤٧٩ .

٢ - محمد المالكي : ص ٢٢٣ – ٢٢٤ ،و أنظر أيضا البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ١٢٥ .

مبنى مقام إبراهيم ، والمنبر ، ومبنى بئر زمزم ، وباب شيبه ، والمقصورات الأربع أو المقامات الأربع ، التي كانت موجودة لقرون عديدة ، ولم أستدل على معرفة من بناها ، وهذه المقصورات ، أو المقامات الخاصة بالأئمة الأربعة ، المقام الحنفي ،و المقام الشافعي ، والمقام الحنبلي ، والمقام المالكي .

وجاء الاتفاق على إزالة هذه المباني على أن يبقى مقام إبراهيم في مكانه ، ويغطى بصندوق بلوري سميك ، بحجم لا يعيق حركة الطواف أثناء الذروة ، ويتسنى معه رؤية المقام ، وعملت له قاعدة رخامية ، ووضعت عليها القاعدة النحاسية المنصوبة حول المقام في مساحة لا تزيد عن ١٨٠ × ١٣٠ سم ، وبارتفاع ٧٥ سم ، وتم هذا في عهد جلالة الملك فيصل – رحمه الله – ، وقد أزاح الستار في ١٨ رجب ١٣٨٧ هـ عن هذا الغطاء البلوري [١] .

رابعاً : المنبر

وأول من خطب على منبر مكة المكرمة هو معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – . وكان الخطباء يلقون خطبتهم وقوفا على أرض حجر إسماعيل عليه السلام [٢] . أما المنبر الذي أرسله السلطان سليمان بن السلطان سليم العثماني هدية عام ٩٦٦ هـ / ١٥٥٨

١ حامد عباس : ص ١٥١ ، والصور ص ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ٢٠٠ .

٢- للوقوف على تاريخ بناء المنابر يرجى الاطلاع على حسين باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٠ ، وانظر أيضا سعد ماهر محمد : العمارة الإسلامية على مر العصور ، الجزء الأول ، (دار البيان العربي ، مصر) ص ١٨٩

م ، فقد كان ملاصقا لمقام إبراهيم من الجهة الشمالية .

خامساً : السدة أو المكبرية :

وهي السقيفة التي تبنى في حائط المسجد قبالة المحراب أو المنبر ، والغرض منها تمكين المؤذن من أداء الصلاة ، ويرتفع صوته بالتكبير والتحميد بعد الإمام كي يضبط المأمومين [١] . وأول من أنشأ السقيفة أو المظلة هو عبد الله بن محمد بن عمران الطلحي ، حاكم مكة في عهد هارون الرشيد . والمبنى البارز تجاه المطاف شيد عام ١٣٨٧ هـ ، وكانت به الدائرة التلفزيونية المغلقة ومحطة البث التلفزيوني والإذاعي لنقل أداء الصلاة حيا على الهواء [٢] .

سادساً : المظلات

وكانت تحيط الحصاوي من الجهات الأربع ، وهي من القماش ، تنتشر خلال صلاة الظهر والعصر [٣] ، وكان لكل مقام من المقامات التابعة للمذاهب الأربع مظلة خاصة

.وفي عام ١٣٦٦ هـ تم تركيب عدد من المظلات الجديدة التي تمَّ استيرادها من الخارج [٤].

١- حامد عباس : ص ١٧٥

٢- اتحاد المهندسين : ص ١٦٧ .

٣- المرجع السابق : ص ١٠٦

٤ – أم القرى : العدد (١١٦٤) ١ شعبان ١٣٦٦ هـ / ٢٠ يونية ١٩٤٧ م ، والعدد (١١٦٦) ١٥ شعبان ١٣٦٦ هـ / ٤ يوليه ١٩٤٧ م ، والعدد ٢٢ شعبان ١٣٦٦ هـ / ١١ يوليه ١٩٤٧ م. و لم أجد ما يثبت العدد الصحيح لعدد المظلات التي تم تركيبها في ذلك العام .

سابعاً : الحصاوي .

وهي منطقة مفروشة بالحصى بين المطاف والأرقة الأولى للمسجد .

ثامناً : المزولة .

أما المزولة أو الساعة أو ميزان الشمس ، فلم أجد تاريخ وضعها في الحرم ، لكن ربما يعود وضعاها إلى منتصف القرن السادس الهجري . وقد كان هناك مزولتان إحداهما في صحن الحرم والثانية فوق بيت بئر زمزم ، ولم يعتمد إلا على المزولة الموجودة في الصحن لمعرفة موعد الزوال ، أما ساعة الملك عبد العزيز فقد أمر رحمه الله بتركيبها على دار الحكومة لترى من كل مكان بارتفاع حوالي خمسة عشر مترا فوق سطح دار الحكومة ، مما يعني أن ارتفاعها من الأرض إلى السماء حوالي ٢٥ مترا . وهي ذات وجهين ، أحدهما يطل على المسجد الحرام ؛ أما الساعات التي وضعت في العهد فيما بعد ، فلا تزال موجودة إلى الآن [١] .

تاسعا : الأساطين .

وهي الأعمدة التي حول المطاف وقيل إن هذه الأساطين التي حول المطاف هي حد الحرم الذي كان على زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – وبعض هذه الأعمدة من الحجارة المنحوتة ، وبعضها بنيت من الآجر المجصص ، ويوجد بين كل عمودين قطعة من الخشب

١ - تقي الدين الفاسي : ص ٤٢١ – ٤٢٤ ، وانظر حسين باسلامة : ٢٤٩ – ٢٦٠ .

المستطيلة يصل بينهما ، وذلك لتعليق القناديل عليها ، ويبلغ عدد القناديل ثلاث وتسعون قنديلا . وقد جعل في كل مقام من المقامات الأربع خمسة قناديل . كما وزعت باقي القناديل على جهة باب شيبة وحول المطاف ، ومقام إبراهيم ، وتختلف أعدد القناديل ونوعها وحجمها وشكلها من عصر إلى عصر ؛ وقد جددت هذه الأساطين أو الأعمدة عدة مرات [١].

في عام ١٣٣٥ هـ بدأت إضاءة الحرم باللوكسات (الأتاريك) وبلغ عدد المصابيح التي كانت تضئ الحرم بالزيت (١٤٢٢) قنديلا [٢] ، و في عام ١٣٣٨ هـ ، أدخل الشريف حسين الكهرباء إلى دائرة المطاف . وفي الفترة من ١٣٤٠ – ١٣٤٣ هـ زاد الشريف عدد (ماكينات) و (مواتير) الكهرباء التي تضئ الحرم الشريف ، وكان عدد لمبات المطاف ثلاثمائة لمبة فقط[٣] .

وعندما دخل الملك عبد العزيز رحمه الله إلى مكة المكرمة عام ١٣٤٣ هـ ، تبرع أحد تجار الهند بمولد كهربائي كبير . ثم تتابعت تبرعات المحسنين لإضاءة المسجد الحرام بمواتير الكهرباء حتى عام ١٣٥٤ هـ فأضاءت الكهرباء حول المطاف وأروقة الحرم والأبواب في المداخل ، حتى تضاعفت الإضاءة بنحو عشرين ضعفا عما

١- المرجع السابق

٢- أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ص ٥٩٢

٣- محمد عمر رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجري ،(الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، دار مكة للطباعة و النشر و التوزيع ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ص ٢٧٢

كانت عليه قبل عهد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.

وفي شعبان ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م استقدمت إدارة الحرم الأدوات التي كانت تنقص الماتور الكبير المعد لإنارة كامل الحرم ، كما استوردت مكنة ماركة كروسل قوة ٤٨ حصان ، وتم إضاءة الحرم بكامله في غرة رمضان ١٣٦٦ هـ وكانت الإضاءة جيدة وكافية [1] .

***

١ ـ أم القرى : العدد (١١٦٨) ٢٩ شعبان ١٣٦٦ هـ/ ١٨ يوليه ١٩٤٧م . والعدد (١١٦) ٧ رمضان ١٣٦٦ هـ ، ٢٥ يوليه ١٩٤٧ م.

مراحل التوسعة السعودية

وإلى جانب أن الملك عبد العزيز يعتبر أول من أضاء الحرم كله بالكهرباء ، فهو أيضا أول من اتخذ قرار التوسعة في العهد السعودي حيث وصل المسعى بالحوض في التوسعة الأولى للحرم ،

وعندما فكر رحمه الله في هذه التوسعة ، كانت المباني متداخلة مع الحرم ، مما يعني وجوب استشارة العلماء وأهل الحل والعقد في أمر لا يخص أهل مكة وحدهم بل يخص المسلمين أجمعين، وكان القرار الذي اتخذه الملك عبد العزيز رحمه الله جريئا ، والفكرة صائبة عندما أصدر أمره الملكي الكريم بالتوسعة السعودية الأولى ، وهكذا جاء القرار مدروسا وأخذ وقته في الدراسة والتعديل ، ولم يأخذ رحمه الله رأياً واحداً فقط ، بل أخذه من مصادر مختلفة ، وقدمت له الخرائط والتصاميم مراعية الظروف الاقتصادية العالمية ، والتي يمر بها العالم بشكل عام ، والمملكة العربية السعودية بشكل خاص .

وقد استغرقت عملية التوسعة الأولى أكثر من عشرين عاما ، اشترك فيها أربعة ملوك من آل سعود وجاءت هذه التوسعة بمثابة نقلة واسعة من ناحية التقنية وأسلوب العمل وحجم الإنفاق وتغيير البنية الأساسية لمنطقة الحرم لم يسبقهم إليها أحد .

وعندما أمر الملك عبد العزيز بالتوسعة الأولى ، جاء التصميم الذي وضعه المختصون يوجب إزالة القسم العثماني من المسجد إزالة

كاملة ، فلم يوافق الملك عبد العزيز على تلك الإزالة ، فتم تعديل التصميم بحيث يمكن الاحتفاظ بالعمارة العثمانية .

وبدأت **المرحلة الأولى** : من تنفيذ التوسعة عام ١٣٧٥ هـ ، أي بعد وفاة الملك عبد العزيز – رحمه الله – ، وشملت هذه المرحلة – فقط – بناء المسعى من طابقين[١] . ويبلغ طول المسعى العلوي (٣٩٤,٥) مترا ، وعرضه (٢٠) مترا ، وارتفاع السقف الأول (١٢) مترا ، وسقف الطابق الثاني (٩) أمتار ، وأدخل المسعى ضمن مبنى الحرم ، مما أمكن اعتباره جزءا من الحرم ، يمكن أداء صلاة الجماعة الكبرى فيه ، وهذا بالطبع مما خفف من ازدحام المصلين في الحرم[٢].

وقسمت المسعى بسور يفصل بين اتجاهي السير (للمشعرين) الصفا والمروة . وجعل للدور الأول ثمانية عشر مخرجا إلى الشارع العام، وفي الدور الثاني مخرجان أحدهما عند الصفا ويصعد إليه بسلالم والآخر عند المروة إلى الشارع مباشرة .[٣]

---

١ - اتحاد المهندسين <باكستان> : ص ٤٧ وانظر أيضا محمد محمود سيدي ياتي الطلحي : الحرمان الشريفان بين الماضي والحاضر ، (الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ) ، ص ٣٧ وما بعدها . وانظر أيضا إصدار المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر : أضواء على المملكة العربية السعودية ، ١٣٧٧ هـ ، ص ٢٥٧ – ٢٦١ .

٢ وزارة الإعلام ، الإعلام الخارجي : الحرمان الشريفان ،(الطبعة الخامسة ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م) ص ١٤

٣ نفس المرجع

أما **المرحلة الثانية** : من التوسعة فكانت في الفترة من عام ١٣٨١ – ١٣٨٩ هـ أي شملت نهاية عهد الملك سعود وبداية عهد الملك فيصل رحمهما الله .

وشملت هذه التوسعة إزالة العوائق التي كانت في وسط الحرم، وهي إزالة مبنى بئر زمزم ، وتخفيض مستوى البئر تحت أرضية المطاف وإزالة مباني المقامات الأربع . وإزالة باب بني شيبة وإزالة مبنى مقام إبراهيم ، وتم توحيد الصلاة بعد إزالة المقامات الأربع بعد أن كانت الصلوات تقام خلف المقامات الأربع ، حسب المذاهب الأربعة [١] .

أما **المرحلة الثالثة** : في عهد الملك فيصل ، فتمت في الفترة من ١٣٨٩/١٣٩٢هـ . وهنا دخلت التوسعة مرحلة جديدة بالخروج إلى خارج الحرم ، وإضافة أراضي جديدة ، وتم في هذه المرحلة بناء المكبرية وشق الطرق وبناء الميادين حول الحرم [٢] ، مما استوجب نزع ملكية الدور الملاصقة للحرم ، وتعويض أهلها بتعويضات كبيرة لم تخطر على بال أحد من سكان هذه الأحياء .

المرحلة الرابعة : من ١٣٩٣ – ١٣٩٦ هـ بعد ازدياد دخل المملكة من النفط، مما أعطى الملك فيصل الفرصة لتحقيق هذه التوسعة ليس للمقام والحرم فقط بل لشوارع مكة المكرمة الموصلة

١ - حامد عباس : ص ٢٤٥ ، و لمزيد من التفاصيل عن المقامات الأربع ، أنظر بالتفصيل جمال الدين بن ظهير القرشي :

٢ - اتحاد المهندسين <باكستان> : ص ٤٨ .

للحرم بإزالة ما كان يحيط بالحرم ويلتصق به من مباني ومدارس ، وإضافة الفسحة التي تقع خارج الحرم بترخيمها بحيث تتسع للمصلين خارج المسجد لأداء الصلاة فيها بدلا من الصلاة في الطرقات ، كما كان الحال قبل التوسعة ، كما ضُمَّ المسعى إلى الحرم و انقطع مرور الناس بين الحرم والمسعى ، وأزيلت المحلات التجارية التي كانت تفصل المسعى عن الحرم والتي تقع على جانبي المسعى ، وأصبح الناس يسعون في مسعى منتظم بطريقتين للذهاب والإياب بعد أن كانوا يسعون في سوق تمر به العربات والبائعين ، وعلى جانبيه المحلات التجارية ، وأصبح الحرم مثمن الشكل ، وربطت مباني التوسعة الجديدة مع مبنى الحرم القديم مع مراعاة التعديل بحيث أضيفت السلالم التي تصل إلى صحن المطاف وتربط المبنى القديم بالجديد المرتفع عن صحن المطاف .

في هذه التوسعة أيضا تم استبدال أركان المبنى القديم الأربعة بانحدارات قصيرة لينسجم مع المبنى الجديد ، وتم تغيير الشكل الرباعي لصحن الحرم بالشكل المثمن[1] .

وبلغت تكلفة التوسعة الأولى بمراحلها الأربعة ألف مليون ريال، شاملة التعويضات الخاصة بنزع الملكيات ، التي أضيفت للشوارع والميادين المحيطة بها .

وبلغ مجموع ما انتزع للتوسعة حتى عام ١٣٨٢ هـ (٧٦٨) منزلا

١ - حامد عباس :ص ٢٤٣

وحوشا و(٩٢٨) دكانا ، وبلغت التعويضات حتى ذلك التاريخ (٢٣٩,٦١٥,٣٠٠) ريال[١]

وبلغت مساحة الحرم بعد التوسعة الأولى بمراحلها الأربعة . (١٦٠,١٦٨) مترا مربعا بعد أن كانت ٢٩,١٢٧) مترا مربعا . وأصبح المسجد يستوعب أكثر من ٣٠٠ ألف مصل بعد أن كان لا يتسع لأكثر من ٥٠ ألف مصل . وأصبح للحرم ٦٤ بابا موزعة

على مختلف جهاته . وأضيفت للحرم سبع منارات ارتفاع كل منها ٨٩ مترا[٢] .

***

١ - المصدر نفسه .

٢ - المصدر السابق : ص ٢٤٥ ، وقد اختلفت النسب عما ذكره اتحاد المهندسين <باكستان> ص ٤٨ . حيث يذكر اتحاد المهندسين أن مساحة الحرم بعد التوسعة بلغت ١٤٢ . ٢٠٠ متر مربع . ونرى أن تقارير بن لادن التي جمعها حامد عباس أدق من بيانات اتحاد المهندسين لأن شركة بن لادن هي التي نفذت المشروع وهي احدث الدراسات والتقارير عن توسعة المسجد الحرام .

توسعة خادم الحرمين الشريفين

نظرا لكثافة عدد المصلين والوافدين للملكة جرت تعديلات على التوسعة ، وبدأت التوسعة الثانية في عهد خادم الحرمين الشريفين واستغرقت أكثر من ست سنوات .

واستوعبت هذه الزيادة ما يزيد عن الواحد والعشرين مليون شخص يزورون المسجد الحرام سنويا ، حسب إحصائية شركة بن لادن المسئولة عن عام توسعة الحرم الشريف ، علما بأن مجموع عدد الحجاج الذين وصلوا إلى المملكة منذ عام ١٣٤٥ هـ إلى عام ١٤١٤ هـ قد وصل إلى (٢٦,٣٨٦,٦٢٠) حاجا من خارج المملكة .

ولم تصل قدرة المسجد الحرام الاستيعابية هذه بطريق ممهد بين يوم وليلة ، وإنما مر ذلك بمراحل كثيرة ؛ أولها الدراسات التي قدمت لخادم الحرمين الشريفين على أعلى المعايير والتصاميم التي أخذت وقتها حتى وصلت إلى صورتها النهائية بعد اطلاع خادم الحرمين الشريفين عليها بل متابعتها أولا بأول منذ كانت (فكرة) ، فأصدر أمره الملكي الكريم ووضع حجر الأساس في توسعة الحرم المكي الشريف في يوم الثلاثاء من شهر صفر ١٤٠٩ هـ ، الموافق ١٩٨٩/١/١٥ م ، على أن تبدأ أعمال التوسعة في الثامن من شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠٩ هـ الموافق ١٩٨٩/٢/١٥ م ، بعد أن تم تعويض الملاك عن أملاكهم <تعويضات فورية ومجزية> وإعطائهم فترة سماح مناسبة لإخلاء المباني مع عدم قطع الخدمات عنهم ، بل تحويلها إلى مسارات أخرى مؤقتة بعيدة عن نقطة العمل حتى لا تتعطل

إجراءات التنفيذ [١] .

وبناءً على تقرير أعدته مجموعة بن لادن السعودية في مكتب المستشار الخاص لرئيس مجلس الإدارة والمدير العام لمشروعي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف ، والذي اعتمدت عليه فيما يتعلق ببيانات التوسعة الخاصة الحرام ، فقد راعت التصاميم التي أشرف عليها خادم الحرمين الشريفين شخصيا ، والدقة في كل تفصيلاتها والتجانس الكامل لتوسعة الحرم المكي الشريف في كل عناصره ، واستخدام أفضل ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة وكانت الرقابة على دقة التنفيذ حازمة وصارمة للوصول لأفضل النتائج [٢] .

وتتضمن التوسعة إضافة جزء في منطقة السوق الصغير ، بين باب العمرة وباب الملك ، والاستفادة من المساحة المحيطة بأسطح المبنيين الجديدين مبنى الحرم القديم ، وتطوير المنطقة المحيطة بالحرم لتسهيل الحركة ، وذلك بتوفير الخدمات المساندة ، وتأمين أنظمة السلامة المتطورة ونظام تغذية وصرف الماء ومواقف للسيارات من طابقين [٣] .

وحرصا من خادم الحرمين الشريفين على سرعة ودقة التنفيذ بإزالة جميع العوائق ، وخاصة المادية منها التي قد تؤجل أو تؤخر أي

١ - حامد عباس : ص ٣١٩ .

٢ - انظر تصوير بكر محمد بن لادن في كتاب حامد عباس : ص ٣٢٠ – ٣٢٦ .

٣ - حامد عباس : ص ٣٢٧- ٣٢٨

جزئية من جزئيات العمل ، وكان – حفظه الله – يؤكد كل عام لدى مناقشة الميزانية : ألا تتعرض المبالغ المعتمدة لتوسعة الحرمين للتخفيض مهما كانت الظروف ؛ وبلغت مجموع المبالغ التي صرفت في عهد خادم الحرمين الشريفين من عام ١٤٠٩ هـ وحتى عام ١٤١٥ هـ فقط ، وهو تاريخ صدور البيانات التي اعتمدت عليها في هذا البحث حسب تقرير مجموعة ابن لادن التي قامت بتنفيذ هذه التوسعة في عهد خادم الحرمين الشريفين حتى نهاية عام ١٤١٥ هـ هو مبلغ تسعة بلايين دولار أي ما يقارب ستا وثلاثين بليون ريال سعودي .

وكان نصيب الخطة الخمسية الرابعة (١٤٠٥ – ١٤١٠ هـ) فقط أربعة بلايين دولار وهي الخطة الأولى التي وضعت في عهد خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – بمعنى أن الحكومة السعودية الرشيدة تصرف على توسعة الحرمين فقط ، دون الخدمات المساندة الأخرى مبلغ مليون دولار يوميا ، أي ما يقارب أربعة ملايين ريال يومياً[1] ، وذلك بخلاف النفقات الحكومية الأخرى التي تستفيد منها التوسعة وزوار بيت الله الحرام كخدمات البلدية والنظافة والدفاع المدني والصحة وخدمات التجارة التي تراقب الأسواق والنشاط الاقتصادي في منطقة مكة المكرمة بالذات ، وعلى الأخص المنطقة

١ - كلمة خادم الحرمين الشريفين لمجلة المجلة : العدد (٥١٦) ، يناير ١٩٩٠ م، مناسبة اختيار المجلة لخادم الحرمين الشريفين ليكون شخصية عام ١٩٨٩ م ، وتحت عنوان " الملك فهد بن عبد العزيز رجل الوفاق والسلام ، وانظر أيضا حامد عباس : ص ٣٢٩ .

التي حول الحرم ، وما يلزم من متابعة لا تهدأ أو تنام . وهذا لا يستغرب بل هو متوقع ، فقد أمر – حفظه الله – بوضع حساب مفتوح لمشروع الحرمين الشريفين لدى الجهات المختصة في حكومته [١] .

وتتميز الخصائص الإنشائية للمسجد الحرام (وكذلك الحرم المدني الشريف) بنظام صارم لمقاومة كافة الاحتمالات المتوقعة ، كالزلازل والرياح وغيرها من الكوارث الطبيعية ، وغير الطبيعية المتوقعة . واخترت جميع قطاعات الخرسانة المسلحة لتقاوم جميع الاحتمالات ومضاعفاتها بأمان [٢] .

وتعتبر التوسعة الحالية هي الامتداد الأفقي للطوابق الموجودة من قبل ، والقبو (البدروم) والدور الأرضي والدور الأول والسطح . ويتألف مبنى التوسعة من ثلاثة أدوار ، مقسما إلى خمس عشرة وحدة مستقلة .

وتبلغ مساحة البدروم ١٨ ألف متر مربع وارتفاعه ٤,٣٠ متر ، ويقع تحت منسوب سطح الأرض ، والذي جرى تهويته ميكانيكيا . ويقع الطابق السفلي أو البدروم بكامل ارتفاعه تحت منسوب سطح الأرض ، ويستخدم الأنظمة الخدمية كأجهزة التكييف المركزي (تلطيف الهواء) [٣] ، وحاويات بممرات خاصة لتجميع النفايات .

١- كلمة خادم الحرمين الشريفين ، انظر حامد عباس ، ص ٣٢٩ .

٢- حامد عباس : ص ٣٣٨

٣- تم اختيار الموقع بعيدا عن الحرم لتجنب المصلين والسكان ضوضاء الماكينات ، حامد عباس : ص ٣٦٣ .

وتبلغ مساحة الطابق الأرضي ٢٠ ألف متر مربع وارتفاعه ٩,٨٠ متر ، وقد أمنت له تهوية طبيعية عن طريق فتحات مقابلة للشبابيك مع تركيب مراوح على الأعمدة وتزويد الأعمدة بنظام تلطيف الهواء وتبريده ( ) .

كما تبلغ مساحة الطابق الأول ١٩ ألف متر مربع وارتفاعه ٩,٦٤ متر ، وله نفس مواصفات التهوية التي للطابق الأرضي [١] .

أما السطح فقد جرى تهيئته للصلاة ، وإزالة جميع العوائق التي عادة ما تكون في الأسطح من تمديدات الماء أو الكهرباء ونحوها.

أما بالنسبة لتوسعة المساحات التي خارج الحرم من جهة شرق المسعى فبلغت ٤٦ ألف متر مربع ، وتتسع لحوالي ١٥٠ ألف مصل ، ومن جهة السوق الصغير بلغت المساحة الخارجية ٢٨ ألف متر مربع [٢] .

---

١ - نفس المرجع : ص ٣٣٨ .

٢ - عبيد الله كردي : الكعبة المعظمة ، ص ٢٠٩ . و يعتبر نفق السوق الصغير هو الشريان الحيوي الذي يربط غرب مكة بشرقها ، ويتألف النفق من مسارين ويبلغ طوله ٩٠٠ متر ، كما يبلغ طول الجزء المغطى منه ٦٠٠ متر ، وقد زود النفق بأربع محطات لوقوف الحافلات عند السلالم (محطتان في كل اتجاه) . وأنشئت في النفق (٦٩٠) مرفقا صحيا ، و (٤٤٩) نقطة وضوء ، و (١١٤) نقطة شرب ، إلى جانب الخدمات المساندة ، انظر حامد عباس : ص ٣٤٣ ، وانظر التقرير الذي أعدته مجموعة بن لادن السعودية حيث أوردت تفصيلا عن الخدمات المساندة ، كنظام التهوية ، وعلامات المرور ونظام المراقبة التلفزيونية الداخلية ونظام مكافحة الحريق البسيط والمتطور وأجهزة مراقبة غاز أول أوكسيد الكربون ومحطات كهربائية خاصة ولوحات توزيع ، ومولد احتياطي ومصدر طاقة غير منقطع ، وشبكة لتصريف المياه ومياه الأمطار والسيول لضمان عدم وصول مياه الأمطار إلى داخل النفق .

وبلغت ساحة الشامية ١٤ ألف متر مربع ليكون المجموع ٨٨ ألف متر مربع[١] . وهذه المساحات تكفي لاستيعاب ١٩٠ ألف مصل .

وهكذا تصل مساحة الحرم الإجمالية بعد التوسعة الحالية إلى ٣٥٦ ألف متر مربع ، وتتسع (٧٧٣) ألف مصل في الأيام العادية ، بينما تصل قدرة الحرم الاستيعابية إلى أكثر من مليون مصل في أوقات الذروة ، مما يستوجب إعادة تصميم المنطقة وتشكيلها حسب المستجدات ومتطلبات التوسعة ، وذلك بإزالة العوائق العمرانية القديمة السابقة[٢] ، وإزالة كافة المرافق السابقة ، وخاصة الطرقات لتصبح هذه المنطقة بأكملها خاصة للصلاة والمشاة مما فصل حركة السير للسيارات والحافلات عن المصلين في هذه المنطقة ، وذلك بإنشاء أنفاق تحت الأرض والاستفادة من مساحته لأكثر من غرض سواء باستخدام سطح المساحة أو عمقها لخدمة المرافق الصحية ، و لتكون ميادين للحرم ، على أن تستخدم في نفس الوقت للصلاة في أوقات الذروة .

وبناء على ملاحظة خادم الحرمين الشريفين فقد تم تجميع الشبكات الكهربائية الخاصة بالحرم تحت القباب الصغيرة التي تحيط الصحن فوق المبنى القديم الذي يربط الصحن بالتوسعة

١- حامد عباس : ص ٣٤٢ .

٢ - تمت إزالة ٣٩٠ مبنى بطريقة إضعاف دعامات المباني ، وذلك بربط كل دعامات المبنى بكابل فولاذي إلى آلة جر ذات قدرات عالية ، ثم تتحرك هذه الآلات في اتجاهات معينة وبطريقة هندسية حسابية دقيقة ، بحيث يقع المبنى في الاتجاه المطلوب دون أضرار وتفجيرات تعكر سكينة الحرم أو تضر بالمباني الملاصقة والقريبة وتزعج روحانية البلد الطاهر .

السعودية ، مما يسمح بتفريغ كامل السطح للصلاة وإضافته لمبنى التوسعة . وتبلغ مساحة سطح هذه التوسعة ٦١ ألف متر مربع وتتسع لأكثر من تسعين ألف مصل [١] .

وتبلغ عدد القباب الكبيرة التي أضيفت في مصلى التوسعة ثلاث قباب متجانسة تماما مع قباب التوسعة الأولى ، والهدف من هذه القباب إلى جانب الشكل الجمالي فإنها للتهوية الطبيعية ولإضاءة المكان ، وتقع هذه القباب في منتصف سطح التوسعة وبموازاة المدخل الرئيسي . ومساحة كل قبة ١٥×١٥ وبارتفاع ١٣ مترا [٢] .

السلالم الكهربائية :

وتعتبر تهيئة الأسطح للصلاة من أهم العوامل التي أدت إلى تصميم السلالم الكهربائية والمصاعد التي تصل إلى السطح مباشرة، تسهيلا لوصول ضيوف الرحمن من المصلين إلى الساحات العليا في أوقات الذروة .

وخصص للسلالم المتحركة مبنيان على جانبي التوسعة من الجهة الشمالية و من الجهة الجنوبية .

وتبلغ مساحة كل مبنى ٣٧٥ م٢ ، إضافة إلى مجموعتين من السلالم المتحركة داخل حدود المبنى على جانبي المدخل الرئيسي

١ - حامد عباس : ص ٣٣٩ ، و لمزيد من التفاصيل حول القباب انظرجمال الدين بن ظهير القرشي : الجامع اللطيف ، ص ٢١٥ - ٢١٧

٢ - تقرير مجموعة بن لادن : ص ٣ ى ، وحامد عباس : ص ٣٦٣ – ٣٦٤ .

للتوسعة ، وعليه أصبح مجموع مبان السلالم المتحركة بعد التوسعة سبع مبان ، منتشرة حول محيط الحرم كله ، لخدمة الدور الأول والأسطح[١]

ويبلغ عدد سلالم التوسعة – في مبنى التوسعة فقط – (٥٦) سلما كهربائيا – وبطاقة تستوعب حركة (١٠٥) ألف شخص في الساعة ، إضافة إلى مصعدين داخل المآذن ومصعدي خدمة ، فضلا عن ثمان وحدات سلالم داخلية .

أما السلالم الثابتة فقد أضيفت ثمان وحدات في التوسعة لخدمة حركة المصلين ، إلى السبعة السابقة ، ليصبح العدد خمس عشرة وحدة درج ثابتة[٢] .

واعتمدت جميع هذه الخدمات المذكورة السابقة واللاحقة على طاقة كهربائية عالية ، أقيمت لها محطتا تحويل على جانبي التوسعة تحتوي كل منهما على ثلاث محولات عالية القدرة . أما تجهيزات الإنارة فهي مستقلة ، وكذلك أجهزة تكييف المبنيين القديم والجديد فإنها أيضا مستقلة بمحطات خاصة .

ومن الجدير بالذكر أن نظام تلطيف الهواء في الحرم المكي الشريف هو الأول من نوعه في العالم من حيث سعته الاستيعابية والخدمية . فهو يخدم مساحة تزيد عن ٢١٧,٠٠٠ م٢ داخل الحرم ولا

١- تقرير مجموعة بن لادن : ص ٤ و حامد عباس : ص ٣٦٣- ٣٦٤ .و انظر أيضا اصدارات وزارة الإعلام: الحرمان الشريفان ،(الإعلام الخارجي ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م) ، ص ١٧

٢- تقرير مجموعة بن لادن : ص ٤ و حامد عباس : ص ٣٦٣- ٣٦٤ .

يشمل ذلك الساحات الخارجية . وتقع محطة التبريد في شارع أجياد . وتبعد عن موقع الحرم ٤٥٠ مترا ، وتتكون من اثنين وثلاثين وحدة تبريد إضافة إلى مضخات المياه المثلجة ويصل معدل طاقتها إلى (١٣,٥٠٠) طن تبريد . ويعتمد هذا النظام على مبدأ دفع الهواء البارد بواسطة مجار هوائية من الصاج المجلفن على أرض مرتفعة في الطابق الأرضي والطابق العلوي ، وتمتد إلى الأعمدة ، حيث يتم ضخ الهواء عبر فتحات مثبتة عند تيجان الأعمدة المربعة الشكل ، بينما يمتص الهواء الساخن إلى خارج الحرم عبر فتحات مثبتة أسفل الأعمدة المستديرة الشكل ، ويتم تبريد الهواء عن طريق ضخ ماء التبريد بواسطة أنابيب معزولة عن نفق الخدمات الذي يربط المحطة بالحرم من جهة باب الملك عبد العزيز بطول ٣٥٠ مترا ؛ ويضم النفق أنابيب معزولة ، تحمل الماء المبرد إلى المسجد ، وأنابيب أخرى تعود بهذا الماء إلى المحطة لتبريده وإعادة استعماله مرة أخرى ، والنفق مجهز أيضا بوسائل الإضاءة والتهوية وأجهزة السيطرة والتحكم الأوتوماتيكي . ثم يرتبط النفق من باب الملك عبد العزيز بعبارة الخدمات الدائرية المحيطة بالحرم [1] .

وربما هذا ما يفسر برودة الرخام في بعض مناطق الحرم حتى في الأوقات الشديدة الحرارة ، بالإضافة إلى استخدام نوع من الرخام المبرد في كامل الساحات والأسطح وحول المطاف التي لا تتأثر بالحرارة حتى في أوقات الظهيرة .

١- تقرير مجموعة بن لادن : ص ٤

مداخل ومآذن المسجد الحرام :

ويضم مبنى التوسعة مدخلا رئيسا واحدا وثمان عشرة مدخلا فرعيا ، وقد روعي في التصميم مدخلين جديدين للقبو ، إضافة إلى المداخل الأربعة الموجودة من قبل ويكون بذلك مجموع مداخل الحرم أربعة رئيسيَّة وواحدًا وأربعين بابا فرعيا ، وأهم ما يميز الأبواب والمآذن هو أنها تخدم بعضها البعض ، فالمآذن الثمانية تمثل إبراز المداخل الرئيسيَّة الأربع للمسجد الحرام ، أما المئذنة التاسعة فقد وضعت في مكان يدل على بدء السعي بجوار المسعى ، ويبلغ مجموع عدد الأبواب كلها ٤٥ بابا وتسع مآذن ، وتعكس هذه الأرقام معنى الوتر في الشعائر الإسلامية ، فالله واحد والصلاة خمس مرات في اليوم آخرها ركعة وتر في آخر الليل والجمرات سبع جمرات ، والطواف سبعة أشواط والسعي سبع أشواط الخ ، مما يدل دلالة واضحة على خاصية العدد الفردي في هذا المكان الشريف[1] .

وقد راعت حكومة خادم الحرمين الشريفين الناحية الجمالية في كل لمسة من لمسات[1] العمل الفني في التوسعة ، فشملت أهم عناصر وصناعات وحرف الزخرفة على أحدث التقنيات الحديثة في المآذن والقباب والأروقة والأعمدة والجدران وفي الأسقف والأرضيات، وفي السلالم والأقواس والنوافذ والأبواب ومازجت بين العمارة السعودية

١ - اختلفت عدد المآذن على مر العصور الإسلامية ولكنها كانت في معظمها تتميز بالعدد الفردي ، لمزيد من التفاصيل حول المآذن والمداخل والأبواب وما طرأ عليها من تغييرات في أسمائها ، انظر بالتفصيل تقي الدين الفاسي : ص ٤٣٠ – ٤٣٧ .

الأولى وتوسعة خادم الحرمين الشريفين فشملت التوسعة مئذنتين جديدتين بارتفاع تسع وثمانون متراً ، وهما متشابهتان تماما في المواد المستخدمة والتصميم مع المآذن الأخرى .

شبكة الصرف الصحي :

لقد تم تصميم شبكات الصرف لتصريف مياه الأمطار على مرحلتين : الأولى بين الحرم وجسر الحجون ، والثانية بين جسر الحجون وميدان العدل ، إضافة إلى إنشاء وتمديد شبكات رئيسة تحت الحرم للتصريف الداخلي للمياه [1] .

الخدمات الأخرى :

وحسب تقرير المكتب الاستشاري لمجموعة بن لادن فإن الحكومة السعودية الرشيدة في عهد خادم الحرمين الشريفين قد أعادت تصميم وتوزيع الخدمات بين المسجد الحرام ومبنى التوسعة ، لتصريف مياه الأمطار وتوفير مصادر مياه لشرب ماء زمزم عدد (٦٠) نافورة شرب بالدور الأرضي وعدد (٣٦) نافورة في الدور الأول ؛ كما تم إضافة شبكات ماء جديدة لإطفاء الحرائق ، وشبكات تنظيف ، وإضافة مخارج لمياه التنظيف ، بالإضافة إلى خدمات أخرى مساندة يضيق هذا البحث عن تفاصيلها .

***

١ - حامد عباس : ص ٣٤٣ .

الخاتمة والنتائج

الخاتمة

وأخيراً وليس آخرًا فهذا ليس كل شئ عن التوسعة ، فلازلنا في البحث و لم نوف التوسعة حقها ولم نذكر إلا أقل القليل ، كما أن موضوعنا لم يتعد عام ١٤١٥ هـ ولا يتسع هذا البحث المتواضع لتفاصيل هذا العمل الجليل الذي تحتاج كل جزئية فيه إلى مجلدات ، ومهما بلغت بلاغة القلم فإنها لا تستطيع أن تصف هذا الإنجاز العظيم.

ومن حق المملكة العربية السعودية أن تفخر بخدمة البيت العتيق وخادمه وعمله الجليل الذي قصد به وجه الله الكريم في مفخرة لم يسبقه إليها أحد . ومن دواعي الفخر أن الفكر الذي يشرف ويخطط لعمل عظيم كتوسعة الحرمين الشريفين بهذه الطاقة والقدرة والتقنية الحديثة المتطورة ، ويرصد لها كل هذه البلايين لا بد وأن يكون شخصية غير اعتيادية ، أنجبته أرض تميزت بإنجاب الصقور – ، وكانت رحمة من الله عز وجل أن اختص سبحانه وتعالى هذه البلاد برجال مثل الفهد وأخويه صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس الحرس الوطني ، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام .

ولنذكر للتاريخ وفي هذه العجالة أن حكام المملكة العربية السعودية ، وأولهم جلالة الملك عبد العزيز – رحمه الله – وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين – حفظهما الله – قد سخروا كل إمكانيات دولتهم لخدمة وتوسيع وعمارة الحرمين الشريفين ، عمارات متتالية لاستيعاب الأعداد المتزايدة من المسلمين المتوافدين إلى المدينتين المقدستين ، وأخص بالذكر مكة المكرمة (موضوع البحث) ، حتى تجاوز نموها كل التوقعات ، وتطورت بسرعة فائقة اقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا بشكل جعلها تلتحم بالمسجد الحرام لحمة واحدة ، تتوفر فيها كل الخصائص السليمة في مخطط تنظيمي متكامل تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين ؛ الذي أمر بوضع حساب مفتوح لمشروع التوسعة لدى الجهات المختصة في حكومته ، على أن أهمية التوسعة تحكم فيها عاملان أساسيان:

الأول : التطور الذي واكب التوسعة في كل اتجاه (اقتصاديا و اجتماعيا و عمرانيا و ثقافيا و سياسيا)

الثاني : التغييرات التي طرأت على الشكل العام للمدينة المقدسة و إزالة كثير من الآثار و المعالم الذي تميزت بها مكة عن غيرها من المدن ، و التغييرات التي طرأت على المجتمع نتيجة التطور الاقتصادي و الثقافي و العمراني للمدينة المقدسة.

و هذان العاملان مرتبطان ارتباطا وثيقا بعاملين آخرين أكثر أهمية و هما :

١– تمتع المدينة المقدسة باستقرار كامل و روحانية متميزة عن سائر مدن الأرض .

٢ – استمرارية تدفق ضيوف الرحمن على مدار السنة بتكاليف مناسبة و وسائط نقل آمنة

و قد عملت حكومات المملكة العربية السعودية على توظيف عامل الاستقرار هذا لبدء عملية تحديث و تطوير دور التوسعة في جميع المجالات و على جميع الخطط التنموية حتى تؤدي التوسعة الغرض المرجو منها و نتيجة لحرص ملوك المملكة عامة و خادم الحرمين الشريفين خاصة على عدم المساس بالمكونات الأساسية للحرم عند إجراء أي توسعة داخله ، فقد حققت التوسعة الهدف المرجو منها بيئيا و عمرانيا و اقتصاديا و اجتماعيا بل و سياسياً :

١. فمن حيث البعد البيئي ، فقد حرصت التوسعة على عدم إحداث أي تلوث بالمنطقة نتيجة عمليات الهدم و التفجيرات المصاحبة للإزالة التي اتبعت أكثر السبل البيئية أمانًا و نظافة. كما أن الشكل النهائي للمشروع أضفي على المنطقة مظهرا جماليًا خلابًا ارتقى بالمستوى البصري و السمعي لضيوف الرحمن مما يتفق و عظمة المكان و رفعة صاحبه ، و وائمت التوسعة بين الإبداع التراثي و استعمال التكنولوجيا الحديثة في دمج الحاضر بالماضي .

٢. و نتيجة التوسعة أيضًا فقد تم إدخال التقنيات الحديثة في ٩٠ في المئة من الخدمات العامة مثل : الخدمات البنكية من صرف آلي و صناديق أمانات حول الحرم ، إلى البريد السريع و المعاملات التجارية اليومية .

٣. استخدام الحاسوب في جميع أجهزة الحرم الداخلية و الخارجية و الأمنية حتى في الكشف عن الأعطال و إصلاحها . .

٤. استخدام أحدث أجهزة المراقبة الأمنية في جميع مناطق و أدوار الحرم و ممراته و المسعى و الطرقات المؤدية إليها و الساحات المحيطة بالحرم ،بل و حتى الطرقات الموصلة لمكة المكرمة ، و تزويد العاملين بأمن الحرم بأجهزة اتصال ،و وسائط النقل السريع لتسهيل عملية المراقبة و التدخل السريع في الوقت المناسب ، كما تم استخدام أنظمة الكشف و الإنذار المبكر ، و الصيانة الفورية.

٥. إدخال أحدث التقنيات الحديثة لنقل جميع الشعائر و الصلوات في أوقاتها عبر الأقمار الاصطناعية مباشرة حية على الهواء و ربطها بالقنوات الفضائية للدول العربية و الإسلامية .

٦. من آثار التوسعة الحميدة تطهير مياه بئر زمزم خاصة بعد تغيير مجرى الصرف الصحي لمنطقة الحرم، و ربط الحرم و المناطق المحيطة به بشبكات جديدة من الصرف الصحي تصب خارج منطقة الحرم، و من ثم تم نزح و تنظيف بئر زمزم و تعقيم مياهه من الملوثات و البكتيريا بوسائل حديثة واستخدمت لأول مرة الأشعة فوق البنفسجية لتعقيم مياه زمزم.

٧. و مع التوسعة و إزالة مبنى البئر و تخفيض فوهة البئر ٢,٧ متر تحت المطاف، وتغطية المطاف بمنشأ خرساني ، أصبح المطاف خالٍ من أي عوائق و بذلك تم نقل مدخل زمزم إلى خارج صحن الطواف .

٨. تم وضع دراسة تفصيلية دقيقة عن بئر زمزم و عمقها و سعة البئر على كامل عمق البئر، و العيون التي تغذيه ، و اتجاه كل عين و سعة كل فتحة و طولها وبعدها عن الكعبة أو حجر إسماعيل أو جبل أبي قبيس..

٩. أدت التوسعة هدفها الأساس و هو زيادة الطاقة الاستيعابية للطواف و الصلاة في الدور الأرضي و الأول و الأسطح .فتضاعفت القوة الاستيعابية للحرم من ٥٠ ألف مصل قبل التوسعة الأولى ، إلى أكثر من مليون مصل بعد التوسعة الكبرى، بخلاف المناطق المحيطة بالحرم التي تستخدم للصلاة في أوقات الذروة . كما أدت التوسعة بشكل عام دورها المطلوب في الأعمال الخدماتية لضيوف الرحمن .

١٠. على أن التطورات التي أحدثتها التوسعة لم تقتصر على فائدة الحجيج داخل الحرم فقط، بل تعدت ذلك بمراحل حيث ساهمت التوسعة في تحريك رؤوس الأموال التي كانت مجمدة في المباني القديمة . و اتخذ التطور العمراني بعدا أفقيا باتجاه الأهالي خارج منطقة الحرم كما اتخذ بعدا رأسيا فيما نراه من المباني الشاهقة حول الحرم التي تحولت إلى مجمعات شبه متكاملة

الخدمات، و تركز في المنطقة التي حول الحرم فئتان أو شريحتان من الناس : الأولى هي : الفئة الاستثمارية، و الفئة الثانية هي : الفئة المتجددة أو المتغيرة ، بعد أن خرج الأهالي للسكن في مناطق بعيدة عن الحرم بسبب إزالة المباني القديمة وتحسن وضع السكان الاقتصادي نتيجة للتعويضات التي حصلوا عليها ، و ظهر ذلك واضحا في الحركة العمرانية التوسعية و نوعية الأعمال التي يزاولونها و طريقة معيشتهم والبلدان التي يسافرون إليها .

١١. و نتيجة لما سبق تقلصت بعض المهن القديمة تطور بعضها ، واستخدمت فيها الآلة ، كما أصبح لها أماكن مخصصة بعد أن كانت موجودة بكثافة حول منطقة الحرم قبل التوسعة، و أصبح التخصص المهني ظاهرة من ظواهر تطور الخدمات في عصر التوسعة ، فبعد أن كان الحلاق مثلا يقوم بعملية الحلاقة و الحجامة و الختان في آن واحد ، أصبح لكل مهنة من هذه المهن مختص ، وأصبح الكوافير أو الحلاق له صالونه الخاص في الفنادق أو المراكز المحيطة بالحرم و انتهى دور المطهر ، و أصبحت عملية الختان من اختصاص طبيب الأطفال في المستشفيات ، و قس على ذلك كثيرًا من المهن .

١٢. على أن التغييرات التي حدثت نتيجة التوسعة لم تكن فقط على صعيد الشكل العمراني للحرم أو المباني التي حول الحرم فقط، بل امتدت آثار التوسعة إلى الشوارع و الخدمات المساندة كالصحة و المرور و كما وأثرت التوسعة على اقتصاد مكة

المكرمة بشكل خاص و المملكة بشكل عام ، فازدادت حركة المواصلات البرية و البحرية و الجوية و صاحب هذه الحركة تطور الخدمات المساندة في الطرق البرية و الموانئ البحرية و المطارات ، و في جميع المجالات الأخرى مما ربط المواطن بدولته من جهة ، و ربط المملكة بعلاقات خاصة و مميزة بالدول العربية و الإسلامية بصفة خاصة و دول العالم بصفة عامة ، خاصة عند اتخاذ أي قرار سياسي أيا كان نوعه أو هدفه، أو أطرافه ، و هذا التميز لدولة المملكة العربية السعودية فتح عن طريقها أبواب الرزق لأصحاب الخدمات و العمالة المدربة بالمدينة المقدسة ، مما يعني زيادة النشاط الاقتصادي و الاجتماعي كما يعني ضخ و تحويل أموال المشتغلين بالمشروع و الأعمال الأخرى في مكة المكرمة ضخا متواليًا ومحسوسا في ميزانيات دولهم.، مما أعطي المملكة طابعا مميزا في علاقاتها الدولية .

١٣. و مع ما للتوسعة من إيجابيات ، فإنها لم تخل من السلبيات ، من أهم سلبيات التوسعة عمليات الإزالة التي شملت كثير من المعالم التاريخية والإسلامية و التي فُقد معها كل أثر لذلك المعلم ، من هذه الآثار دار الأرقم و المقامات الأربع و مبنى بئر زمزم و المكبرية و مبنى مقام إبراهيم وصومعة المؤذن و باب بني شيبة ، و غيرها من المعالم التي كانت داخل الحرم أو خارجه و التي لم يعد لها وجود و لا أي أثر يدل على مكانها باستثناء بئر زمزم، و لا نعرف إن كان قُد حفظ شيء منها في المتحف أم أنها دمرت

أثناء الإزالة ، و بالرغم من ذلك فإنه لولا الإزالة لما كانت التوسعة و لولا التوسعة لما تحسن أداء المسلمين لشعائرهم براحة و أمان .

و هكذا أكدت التوسعة الكبرى على دور المملكة الرائد و المتميز في العالمين العربي و الإسلامي ، و لم تعد التوسعة تعني توسعة مكانية لاستيعاب أعداد أكبر من المسلمين ، بل تعني أيضًا قدرة المملكة على احتواء كافة أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف مشاربهم ولغاتهم و أوطانهم ، إذ يلمسون بأنفسهم أن هذه الدولة الفتية قادرة بلا شك على تحمل المهام الجسام و الذود عن الإسلام و عرينه في كل بقعة من بقاع الأرض ،و يصبح لقب خادم الحرمين الشريفين اسمًا على مسمى ، و لقبا الزم به الملك فهد نفسه بجلائل الأعمال التي لا يقدر عليها إلا العظماء ، فلا يتسع هذا البحث المتواضع و المحكوم بعدد الصفحات ، أن يوفي التوسعة الجلية حقها في كل ما قَدّمَتهُ من خدمات لضيوف الرحمن، و للمقيمين على حد سواء ، بل و للأمة الإسلامية بأسرها .

نسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل الجليل في ميزان حسنات حكام المملكة وكل من ساهم في خدمة حجاج بيت الله الحرام ، و تقبل الله منك يا خادم الحرمين الشريفين ومن أخويك هذه الأعمال الجليلة وأثابكم عليها ، وجعلكم ذخرا لأبناء وطن المحبة والأمن والأمان في أرض المقدسات ربوع المملكة العربية السعودية .

تم بحمد الله .

المصادر والمراجع

أولا الوثائق :

١- كلمة خادم الحرمين الشريفين لمجلة المجلة : العدد (٥١٦) ، يناير ١٩٩٠ م ، بمناسبة اختيار المجلة لخادم الحرمين الشريفين ليكون شخصية عام ١٩٨٩ م ، وتحت عنوان " الملك فهد بن عبد العزيز رجل الوفاق والسلام .

٢- تقرير مجموعة بن لادن السعودية عن مشروعي خادم الحرمين الشريفين لتوسعة وعمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي ، إعداد مجموعة بن لادن السعودية ، مكتب المستشار الخاص لرئيس مجلس الإدارة والمدير العام .

٣- اتحاد المهندسين الاستشاريين <باكستان> : مشروع جلالة الملك خالد بن عبد العزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام ، (إصدار وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، المملكة العربية السعودية ، صدر في عهد صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز ، بدون تاريخ) .

ثانيا المخطوطات :

الأسدي ، أحمد محمد : أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام (مخطوط) مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

ثالثا الكتب :

١- إصدار المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر : أضواء على المملكة العربية السعودية ، ١٣٧٧ هـ .

٢- باسلامة ، حسين عبد الله : تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم وغير ذلك (الطبعة الثالثة ، جدة تهامة ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م)

٣- التنوني : محمد لبيب :الرحلة الحجازية ، (الطبعة الأولى ، مصر مطبعة الجمالية ، ١٣٢٩ هـ)

٤- بكر ، سيد عبد المجيد : أشهر المساجد في الإسلام ، (الطبعة الأولى، جدة مطابع سحر ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)

٥- رفيع ، محمد عمر : مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، (مكة المكرمة ، دار مكة للطباعة و النشر و التوزيع ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م)

٦- الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله : أخبار مكة وما جاء فيها من آثار ، تحقيق رشيد صالح ملحس ، الجزء الأول ، (أسبانيا ، دار الأندلس ، مطابع متيو كرومر، ش ، م ، بنتو – مدريد ، ١٣٨٥هـ) .

٧- السباعي : أحمد تاريخ مكة ، دراسات في السياسة و العلم و الاجتماع و العمران ، (الجزء الأول، الطبعة الأولى ،دار مكة للطباعة و النشر و التوزيع)

٨- عباس ، حامد : قصة التوسعة الكبرى ، (الطبعة الأولى ، الناشر مجموعة بن لادن السعودية ، م ، يحي محمد بن لادن ، جدة ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م)

٩- عطار ، أحمد عبد الغفور : الكعبة والكسوة ، منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم (الطبعة الأولى ، مكة المكرمة، ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م) .

١٠- عطار ، أحمد عبد الغفور :صقر الجزيرة ، (الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٧ م) .

١١- الصاوي ، أمينة : الكعبة المشرفة ، (جدة ، دار عكاظ للطباعة والنشر ، بدون تاريخ)،

١٢- الطلحي : محمد محمود سيدي ياتي : الحرمان الشريفان بين الماضي والحاضر ، (الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ)

١٣- الفاسي : وتقي الدين : شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ، الجزء الأول (مكتبة نزار مصطفى الباز ، الرياض ، ١٤١٧ هـ)

١٤- الفاكهي : الإمام أبي عبد الله محمد من إسحاق بن العباس المالكي : من علماء القرن الثالث الهجري : أخبار مكة في قديم الدهرة حديثه ، دراسة، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الجزء الأول ، (الطبعة الثانية ، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) .

١٥- القرشي : محمد بن جار الله بن ظهير : الجامع اللطيف في فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف ،(الطبعة الثالثة، مكة المكرمة، مكتبة الثقافة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م) .

١٦- القطبي :عبد الكريم : إعلام العلماء ، الأعلام ببناء المسجد الحرام، تعليق أحمد محمد جمال و آخرون ،(ط ١ ، الرياض، دار الرفاعي للنشر و الطباعة و التوزيع ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م)

١٧- المالكي : محمد علي عباس : في رحاب البيت الحرام (الطبعة الثالثة ، جدة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م) .

١٨- محمد ، سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ، الجزء الأول ، (دار البيان العربي ، مصر).

١٩- مطر ، فوزية : عمارة الحرم المكي الشريف ،

٢٠- النهروالي : الشيخ قطب الدين ،المكي الحنفي :أخبار مكة المشرفة، كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ،(ج ٣ ،)

٢١- كردي : و أنظر أيضا عبيد الله محمد أمين : الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان ، عمارةَ و تاريخاَ (مجموعة بن لادن ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٩ هـ) .

٢٢- الكردي : محمد طاهر المكي : التاريخ القديم لمكة و بيت الله الكريم ، (الجزء الرابع ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة ، ١٣٨٥ هـ) .

٢٣- كوشك : المهندس يحي حمزة : زمزم طعام طعم وشفاء سقم (الطبعة الأولى ، جدة ،دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٣ م)

٢٤- كوشك : المهندس يحي حمزة ، : زمزم طعام طعم وشفاء سقم (الطبعة الثانية ، جمهورية مصر العربية ، المتحدون للإعلان ، مدينة السادس من أكتوبر ،١٤٢٥ هـ).

٢٥- وزارة الإعلام ، الإعلام الخارجي : الحرمان الشريفان، (ط ٥ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م)

رابعا الدوريات :

أم القرى العدد (٢٩) ١٧ محرم ١٣٤٤ هـ

(١١٦٤) ١ شعبان ١٣٦٦ هـ/يونية ١٩٤٧ م .

(١١٦٦) ١٥ شعبان ١٣٦٦ هـ /٤يولية ١٩٤٧ م .

(١١٦٧) ٢٢ شعبان ١٣٦٦هـ/١١يولية ١٩٤٧ م .

(١١٦٨) ٢٩ شعبان ١٣٦٦ هـ/ ١٨يولية ١٩٤٧م.

(١١٦٩) ٧ رمضان ١٣٦٦ هـ/٢٥ يولية ١٩٤٧ م .

(١١٨٢) ١٦ ذو الحجة ١٣٦٦ هـ/٣١ أكتوبر ١٩٤٧م.

(١١٨٢) ٢٣ ذو الحجة ١٣٦٦ هـ/ ٧ نوفمبر ١٩٤٧م .

جريدة عكاظ : العدد (٦٥٠٧) بتاريخ ٢٩ / ٦ / ١٤٠٤ هـ – ٣/٣١ / ١٩٨٤م .